إقليم شمال البحر الأحمر
متحف طبيعي يضم العديد من الآثار التاريخية!!!

محمود عبدالله/ أبوكفاح

تزخر إرتريا بثروات طبيعية وثقافية وتاريخية لا تُحصى ومن بين جميع مناطقها، يمثل إقليم شمال البحر الأحمر خير مثال على ثروات البلاد المتنوعة ويمكن للزائر أن يتعرف على كل ذلك بمجرد زيارة متحف شمال البحر الأحمر.

يضم هذا المتحف قطعًا أثرية لا حصر لها تُجسد الثروات الطبيعية للبحر الأحمر عمومًا، وخصائصه الفريدة وتطوراته الجيولوجية خصوصًا كما يُمكن للزائر أن يشاهد قطعًا متنوعة تُمثل سُبل عيش معظم القوميات التي تسكن هذا الأقليم ، فضلًا عن تاريخه القديم والحديث, ويجسد هذا الإقليم تاريخ الإنسان الأول الذي يعود إلى ملايين السنين، والتطورات التي مربها تطور مختلف الكائنات الحية، ودخول المسيحية والإسلام إلى الإقليم منذ أكثر من ألف عام.

كما يُعرض في المتحف تاريخ مئات السنين من الاستعمار ومحاولات الغزو، ومراحل مختلفة من استعمار القرن الماضي، والنضال الأخير ضد المستعمرين والذي أنجز الاستقلال.

يمتد إقليم شمال البحر الأحمر من مديرية قلعلو في الجنوب إلى أقصى شمال إرتريا، من المنحدرات الشرقية إلى جزر دهلك و تشمل هذه المنطقة الجغرافية صحاري

وصخورًا بركانية ومناطق ساحلية وهيكل عظمي لحيوان الأطوم وعددًا من الجزر والمنحدرات الخضراء، بالإضافة إلى أجزاء من المناطق المرتفعة والسهول الرملية.

يستمر موسم الأمطار في هذا الإقليم طوال العام تقريبًا ومع ذلك، فهو يضم أيضًا أماكن ذات معدل هطول أمطار سنوي منخفض جدًا و يعتمد سكان هذا الاقليم في معيشتهم على الزراعة والتجارة وصيد الأسماك وتربية الماشية ويرتبط سبل عيش معظم سكان هذا الإقليم ارتباطًا وثيقًا بالمناطق الساحلية أو بطبيعة المنطقة الجغرافية المحيطة به.

يمتد هذا الإقليم من متر واحد تحت مستوى سطح البحر في محيط مصوع وجزرها، وصولاً إلى قمة جبل بيزن (دير بيزن) على ارتفاع 2000 متر فوق سطح البحر، ويتميز بتنوع مناخي واسع النطاق، يتسم بتقلبات حادة بين الجفاف الشديد والأمطار الغزيرة على مدار العام.

وتسكن الأقليم تركيبة سكانية تتألف من قومية التقري والساهو والعفر والتقرنية والرشايدة والبداويت وبفضل تركيبته الجيولوجية ظل اقليم شمال البحر الأحمر منذ القدم بوابة دولية تربطه علاقات وطيدة بمختلف مناطق البحر الأحمر وإلى جانب كونه موطناً للعديد من القوميات وغناه بالتنوع الثقافي، يكشف اقليم شمال البحر الأحمر عن فصل تاريخي مذهل، بدءاً من فجر التطور البشري الحديث الذي يعود إلى ملايين السنين، كما يتضح من الاكتشافات الأثرية في بويا، وصولاً إلى تاريخ الشعوب التي سكنت أرخبيل زولا، والتي طورت مهارات الصيد والسباحة، فضلاً عن استخدام

المركبات العائمة قبل نحو 100 ألف عام,كل ذلك يؤكد عراقة الإقليم وأصالته.

يُجسّد متحف أقليم شمال البحر الأحمر بوضوح جميع الآثار الطبيعية والثقافية والتاريخية المذكورة آنفًا، ويستقبل الزائر بثلاثة قوارب شامخة عند المدخل, حيث ترمز هذه القوارب أيضًا إلى تاريخ الكفاح الحديث من أجل الاستقلال، حيث خاضت معارك ضارية ضد سفن حربية عملاقة تابعة للاستعمار الإثيوبي خلال حرب تحرير مصوع.

يعتبر إقليم شمال البحر الأحمر متحفًا طبيعيًا في المقام الأول، ولكن على الرغم من عدم تمثيل جميع ثرواته الطبيعية والثقافية والتاريخية بشكل كامل في المعرض، فقد ساهم افتتاح متحف إقليمي عام 2000، بمناسبة الذكرى العاشرة لعملية فنقل، في تمثيل الإقليم جزئيًا من خلال المعروضات التي حُفظت بعناية حتى يومنا هذا.

كان إقليم شمال البحر الأحمر مركزًا لحضاراتٍ وتطوراتٍ سياسيةٍ ودينيةٍ وثقافيةٍ وتاريخيةٍ متنوعة فعلى سبيل المثال، دخلت المسيحية والإسلام، وهما من أهم الديانات العالمية الى إرتريا عبر البحر الأحمر, ليس فقط إلى إرتريا، بل إلى مناطق جغرافية واسعة خارجها.

وفي العصور القديمة، حكم إرتريا أمراء البحر حيث وصل نفوذهم إلى منطقة البحر الأحمر في القرن الرابع عشر، لكنه تضاءل تدريجيًا في القرن الثامن عشر, كما حاول الأتراك، الذين وطأت أقدامهم هذه المنطقة في القرن السادس عشر،وفي عام ١٨٤٦، توسع المصريون، الذين تبعوا الأتراك، إلى مناطق دنكاليا والمرتفعات الشمالية ,حيث شيّد المصريون مراكز قيادةٍ حديثةً ومستشفياتٍ وعددًا من الحصون على بُعد كيلومتراتٍ قليلةٍ من إم كولو آنذاك.

اختار الإيطاليون، الذين وطأت أقدامهم أرض إرتريا منذ عام ١٨٦٩، مدينة مصوع،

أقدم مدن المنطقة، عاصمةً لحكمهم الاستعماري,في ذلك الوقت، كانت بريطانيا وفرنسا والنمسا تمتلك قنصليات في مصوع، التي يعود تاريخها إلى قرون.

تحول إقليم البحر الأحمر والذي كان يوماً من الأيام مركزًا للثروة والحضارة، خلال الخمسمائة عام الماضية، إلى بؤرة للاستعمار، ومحورًا للصراعات الدولية، ومركزًا للنضال من أجل الحرية حيث شهدت هذه المنطقة حروبًا متكررة، من بينها محاولات التوسع التركي نحو مرتفعات إر تريا,و في أواخر القرن التاسع عشر، استمرت الحرب الدامية في المنطقة مع توجه الإيطاليون نحو المرتفعات، وكذلك خلال الحرب العالمية الثانية.

عند هزيمة الإيطاليين، كانت مصوع الميناء الأكثر تطورًا في المنطقة، ولكن عندما غادر البريطانيون البلاد خلال فترة الاتحاد القسري مع إثيوبيا، كان الميناء يعمل بأقل طاقته, كما كُتبت الفصول الحاسمة من نضال الاستقلال في هذه المنطقة.

كان ميناء مصوع، وجبهة قندع، وجبال الساحل، مواقع انتصارات متكررة تحققت في أوقات مختلفة ومن أبرز الأحداث التاريخية حرب سالينا عام ١٩٧٧، وتحرير نقفة وما تلاها من اعتداءات، وعملية فنقل لذا، فإن فهم مجمل تاريخ هذه المنطقة يُعدّ فهمًا شاملًا للبلاد.

جميع هذه المعالم التاريخية المذكورة آنفًا موثقة في المتحف الإقليمي, كما يمكن للزائر أن يلمس آثار الأتراك والمصريين والإيطاليين، فضلًا عن آثار الكفاح الدامي من أجل

الاستقلال، من خلال جولة في المدينة الساحلية, لكن يبقى المتحف وجهة لا غنى عنها، إذ يُثري الزائر بمعلومات قيّمة، ليس فقط من خلال القطع الأثرية، بل أيضًا من خلال الصور المعروضة فيه.

تزخر إرتريا بثروات طبيعية وثقافية وتاريخية لا تُحصى ومن بين جميع مناطقها، يمثل إقليم شمال البحر الأحمر خير مثال على ثروات البلاد المتنوعة. يقدم إقليم شمال البحر الأحمر في إرتريا، ثاني أطول مناطق البلاد، مزيجًا ساحرًا من السياحة البرية والبحرية حيث يمتد هذا الإقليم على مساحة تقارب 33,861 كيلومترًا مربعًا، بشريط ساحلي يبلغ طوله 725 كيلومترًا، ويضم تسعة مراسي وميناءً رئيسيًا، مما يُعزز مكانته كمركز بحري حيوي. وإلى جانب البر الرئيسي، تنتشر أكثر من 300 جزيرة في مياهه الزرقاء الصافية، مُشكّلةً شبكة من الخلجان الخفية والنظم البيئية النابضة بالحياة وتشتهر جزر دهلك وجزر هواكل بتنوعها البيولوجي البحري الغني، مما يُبرز التراث الطبيعي الفريد للمنطقة, ويُؤدي التباين الكبير في تضاريس الإقليم ، من أكثر من 3,020 مترًا فوق مستوى سطح البحر إلى 100 متر تحته، إلى مناخ فريد ، يُجسّده شعار وزارة السياحة الشهير: "ثلاثة فصول في ساعتين", وتتراوح درجات الحرارة بين 50 درجة مئوية كحد أقصى و10 درجات مئوية كحد أدنى.

وإلى جانب معالمه البحرية، يقدّم الإقليم فرصًا سياحية برية متنوعة، تشمل مناظر طبيعية خلابة، ومواقع أثرية تاريخية، ومناطق ترفيهية تزخر بالحياة البرية والطيور,

كما يحتفظ الإقليم بتحصينات استُخدمت خلال نضال إرتريا من أجل الاستقلال، مما يُتيح فرصةً للغوص في تاريخ البلاد. أما المجال البحري، فهو غنيٌّ بنفس القدر، إذ يضمّ العديد من الجزر، والشعاب المرجانية النابضة بالحياة، والحياة البحرية المتنوعة,وتُوفّر العديد من حطام السفن، التي يعود تاريخها إلى العصور القديمة وحتى الحرب العالمية الثانية، والجزر، مثل جزر دحل، وديسي، ، وناخورا، وديليمي، فرصًا فريدة للغوص الترفيهي، ومراقبة الطيور، ومشاهدة المعالم السياحية، مما يجعل إقليم شمال البحر الأحمر وجهةً سياحيةً متعددة الأوجه. يتميز إقليم شمال البحر الأحمر بتفاعل معقد بين الموارد البيئية والجيولوجية والمعدنية و توفر سهوله الشاسعة موطنًا لتنوع حيواني غني، يشمل الماشية والحيوانات البرية, كما يخلق موقعه الجغرافي الفريد مناخًا محليًا تتغير فيه الفصول بسرعة، مما يؤثر على توزع النباتات والحيوانات المحلية. جيولوجيًا، يتميز إقليم شمال البحر الأحمر بتضاريس ديناميكية تضم جبالًا بركانية وبحيرات فوهية، وهي بقايا نشاط بركاني قديم, وتشير المناطق الحرارية الأرضية النشطة، التي تتجلى في الينابيع الساخنة في كل من ماي وعوي وإيرافلى ، إلى استمرار النشاط الحراري الجوفي. ويمتد الإقليم حتى أجزاء من منخفض الدناكل، المعروف بدرجات حرارته العالية وتكويناته الفريدة, يدعم ساحله نظامًا بيئيًا بحريًا غنيًا بمياه نقية، يؤي أكثر من 1200 نوع من الأسماك، و950 نوعًا من الأصداف، و220 نوعًا من المرجان، مما يعكس تنوعًا بيولوجيًا عاليًا, وتشمل موارده المعدنية رواسب كبيرة من الذهب والبوتاسيوم والملح، مع إمكانية استغلالها اقتصاديًا. تساهم رواسب المرجان والجبس والجرانيت والأسبستوس في تنويع الثروة المعدنية للإقليم ويجعل هذا التوافر لهذه الموارد منطقة ذات أهمية بيئية واقتصادية كبيرة.

تتجاوز جاذبية إقليم شمال البحر الاحمر الموارد البحرية والساحلية، لتكشف عن نسيج غني من المواقع الأثرية والتاريخية التي تعود إلى عصور مختلفة, لطالما جعلها موقعها الاستراتيجي مركزًا محوريًا في التفاعلات العالمية، وشريانًا حيويًا للتجارة والتبادل الثقافي بين الحضارات القديمة والكلاسيكية,حيث شهد هذ الإقليم الذي كان

بمثابة حلقة وصل حيوية بين أفريقيا وشبه الجزيرة العربية ومنطقة المحيط الهندي الأوسع، حركة البضائع والأفكار والشعوب، تاركةً وراءها أدلة ملموسة على أهميته التاريخية. كشفت الدراسات الأثرية عن بقايا مستوطنات ومراكز تجارية وحصون تشير الى دور الإقليم في تسهيل التجارة العابرة للقارات والانتشار الثقافي و بفضل جزرها وموانئها العديدة، شكل ساحلها بوابة طبيعية للتجارة البحرية، معززًا الروابط بين الإمبراطوريات والحضارات البعيدة. وتتجلى الأهمية التاريخية للإقليم بشكل أكبر من خلال مواقع تعكس فترات زمنية مختلفة، من المستوطنات التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ إلى أحداث في العهد القريب, إن هذا التلاقي بين الكنوز الأثرية والروايات التاريخية يجعل من إقليم شمال البحر الأحمر وجهة جذابة لأولئك الذين يسعون إلى استكشاف التأثير العميق للتفاعلات العالمية على تطور الحضارات. ويمكن للزائر أن يتعرف على كل ذلك بمجرد زيارة متحف شمال البحر الأحمر.

يضم المتحف الإقليمي لإقليم شمال البحر الاحمر قاعات تحوي قطعًا أثرية تمثل مختلف العصور التاريخية، بالإضافة إلى آثار طبيعية وثقافية ودينية متنوعة. حيث يعرض قسم التراث الطبيعي في المتحف كائنات بحرية وبرية، بما في ذلك هياكل عظمية لحيتان وحيوانات بحرية أخرى، وحفريات متنوعة لكائنات برية جُمعت من مناطق مختلفة في الإقليم. يُمثل هذا القسم من المتحف التنوع البيولوجي البحري الفريد للبحر الأحمر في إرتريا، وتاريخ ملايين وآلاف السنين من الكائنات البرية في

المنحدر الشرقي. إلى جانب الشعاب المرجانية، وهياكل عظمية لأبقار البحر وغيرها من الحيوانات البحرية، يُعرض فيه هيكل عظمي ضخم لحوت اكتُشف عام 1999 في جزيرة بجنوب دهلك كبير حيث يبلغ طول الهيكل 14 مترًا ويزن حوالي 22 طنًا.

يتمتع هذا القسم من المتحف بإمكانية أن يصبح متحفًا مستقلًا بمجرد توسيعه ليضم جميع أنواع الغابات والصحاري والكائنات البحرية، مثل الطيور والأسماك والنباتات والحياة البرية. يضم قسم آخر مخصص لأقدم الاكتشافات الأثرية معروضات تُصوّر المراحل المختلفة للتطور البشري وإذا ما أُجريت أبحاث ودراسات معمقة، كما هو الحال في معظم المواقع المحيطة بوادي الصدع في شرق أفريقيا، فإن الجزء الإرتري من وادي الصدع يمتلك إمكانات هائلة ليصبح مصدرًا للمعارف الموثوقة. وبالتالي، من الممكن تطوير هذا القسم من المتحف ليصبح وجهة سياحية بارزة ومركزًا أكاديميًا. ونظرًا لما يحتويه من معروضات قيّمة، يُعدّ المنحدر الشرقي لإرتريا موقعًا محوريًا يجذب اهتمامًا دوليًا لدراسة التطور البشري والهجرات من أفريقيا إلى مختلف أنحاء العالم. ويُعرض في هذا القسم أحافير وأدوات حجرية اكتُشفت على ضفاف وادي داندیرو في منطقة بويا، مثل: أحافير خنزير منقرض وقرون ظبي يتراوح عمرها بين مليون ومليوني سنة، وجمجمة السيدة بويا التي يزيد عمرها عن مليون سنة. تشير بعض الآثار المكتشفة حول الجزء الغربي من شبه جزيرة بوري إلى أنشطة الصيد والسباحة التي كان يمارسها السكان الذين سكنوا هذه المنطقة قبل حوالي 100 ألف عام وقد شهدت هذه المنطقة بعض الأحداث الحاسمة في تاريخ التطور البشري، كما أن بعض مسارات هجرة البشر الأوائل في بعض الجزر تقع ضمن إقليم شمال البحر الأحمر والذي كان يوماً من الأيام مركزًا للتطور البشري المبكر والحاسم.

المصدر/موقع شابايت